المحاضرة الرابعة: قضية الالتزام في الشعر العربي الحديث والمعاصر

توطئة:

يعني الالتزام الوعي بقضايا الوطن وإدراك الأديب لمسؤولية الكلمة في مواجهة أحداث راهنه، ففي المعجم الالتزام " حزم الأمور على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، ويعرفه أحمد أبو حاقة بقوله:" أن الالتزام يقوم في الدرجة على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما.... فالالتزام يعني حرية الاختيار، وهو يقوم على المبادرة الايجابية الحرة من ذات صاحبه، مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه".

ومن التعاريف المقدمة للالتزام أيضا :" الالتزام أن تفيض نفس الأديب بما يؤمن به، ويندفع بنصرته وتأييده والتضحية في سبيله" ، فالشاعر الملتزم هو:" الذي ينفعل بالحوادث التي تجري على أرض الواقع يعاينها ويعيشها بدمه، بحسه، بأعصابه، بتطلعه، بكل ما في نفس الإنسان العربي، المثقف، الثائر، الذي يتميز بصدق العاطفة وعمق المعاناة والذي يشد القارئ نغمه في المأساة، ثم لا يلبث أن ينتزعه من جحيمها، ليضعه أمام عظمة الفداء والكبرياء والنصر" يمكن القول إذن أن الالتزام هو الاقرار بثوابت الأمة ومقدساتها الدينية والفكرية والروحية في الكتابة الأدبية، أو هو الارتباط الوجداني بالمصير المشترك للشعوب وبالوجدان الواحد، بما لا يحد من حريته الإبداعية والكتابية.

أولا: نماذج من الالتزام في الشعر العربي الحديث والمعاصر:

كان الشعر العربي ابن بيئته وابن الظروف التي مر بها العرب في القرن الماضي، وعليه كانت أشعار الشعراء الملتزمون تعبر عن قضاياهم المصيرية، المرتبطة بالاستعمار والفقر والتطلع للافضل، ومن أوائل من صدح بهذا الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، حين عبر عن حنينه لوطنه ووفائه له ودفاعه الدائم عنه، يقول بدر شاكر السياب:

حنين من روما

من جوع صغارك ياوطني أشبغت الغرب وغربانه

صحراء من الدم تعوي، ترتجف مقرورة

ومرابط خيل مهجورة، ومنازل تلهث أواها

ومقابر ينشح موتاها

وعلى هذا النهج صار كثير من الشعراء مثل محمود درويش ونزار قباني وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وعبدالوهاب البياتي وغيرهم، حيث عبرت كتاباتهم الشعرية عن واقع مجتمعاتهم وهي صورة واضحة عن الالتزام والرغبة في نقل صوت الجماهير، من هذا ما قاله درويش في قصيدته:

حالة الاحتضار الطويلة أرجعتني

أرجعتني إلى شاعر في ضواحي الطفولة

أدخلتني بيوتا

منحتني هوية

جعلتني قضية

حالة الاحتضار الطويلة

وهكذا يتضح لنا أن من مظاهر الالتزام:

تبني الشاعر لقضايا وطنه

محاولة تسخير أدبه للتغيير وايجاد حلول فعالة للمشكلات الاجتماعية

التعبير باستعمال ضمير نحن الذي يدل على الانتماء

محاربة كل أشكال الاستعمار والظلم والاستبداد

ثانيا الالتزام في الشعر الجزائري:

يمثل الوفاء للثورة الجزائرية والدفاع عنها شكلا من أشكال الالتزام بقضايا الوطن، فقد كانت الثورة الجزائرية دافعا لكثير من الشعراء للكتابة والدفاع عن

الوطن، ومن ثم التزم منهم كثير بقضية الثورة التحريرية، منهم: محمد العيد آل الخليفة ومفدي زكريا وصالح خرفي ومحمد صالح باوية وأحمد سحنون ولخضر السائحي وغيرهم كثير.

وما يميز التزم هؤلاء الشعراء انفعالهم بالثورة ايجابا، بسبب معايشتهم وقائع الثورة التحريرية ومجازر المستعمر الفرنسي، وقد أرخوا بكتاباتهم حوادث تاريخية وقعت وقت الثورة، فذكروا المؤتمرات والمعاهدات والمجازات ، وكل مادار في الثورة التحريرية، فهذا محمد العيد آل خليفة يصف الثورة المباركة وجيش التحرير بقوله:

شهداء الأوطان شهب دجاها وشهود الفداء و الاستبسال

هذه ثورة عليها اجتمعنا وارتفعنا لقمة الأبطال

لاتقلي أنا وأنت فيها كلنا قومها على كل حال

كلنا إخوة في الدين والوطن اشتركنا في أشرف الأعمال

كلنا شعب واحد واعتصام وليس نرضى في أرضنا بانفصال

وإذا كان محمد العيد قد التزم في نصه بالثورة معلما، فإن الربيع بوشامة التزم في نصوصه الكثير بذكر شهدائها والثناء عليهم، من ذلك قوله:

حي في الأبطال فتيان الفداء وأخصص عميروش منهم بالثناء

بطل الثورة يبلى أبدا في جهاد المعتدي خير البلاد

ويرد الصاع صاعين له بقتال مستميت ودهاء

ويشيع الرعب في أعماقه وبدنياه أنواع الشقاء

أما محمد بلقاسم خمار فيدعو إلى التصعيد في النضال والثورة في قصيدته" منطق الرشاش" فيقول فيها:

لاتفكر لاتفكر.....

يالهيب الحرب زمجر ثم دمر

في ذرى السماء من أرض الجزائر لاتفكر...

مزق الأحياء...أشلاء.....وبعثر....

حطم الطغيان كسر....

وانشر الإرهاب والنيران أكثر...

ثم أكثر...

سوف تظفر....

قوة المدفع... والرشاش... أكبر

ولا يمكننا الحديث عن التزام شعراء الجزائر بثورتهم دون الحديث عن شاعر الثورة مفدي زكريا، فقد أظهر التزامه بها على مر كتاباته الشعرية فهو القائل:

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نوفمبر هل وفيت لنا النصابا

وهل سمع المجيب نداء شعب فكانت ليلة القدر جوابا

تبارك ليلك الميمون نجما وجل جلاله هتك الحجابا

ومن الأشعار التي خلد فيها مفدي زكريا أحداث الثورة حديثه عن نوفمبر وليلة نوفمبر يقول في إحدى القصائد:

نطق الرصاص فما يباح الكلام وجرى القصاص فما يتاح ملام

وقضى الزمان فلا مرد لحكمه وجرى القضاء وتمت الأحكام

السيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكان بيانها الإلهام

والنار حجة فاكتب بها ماشئت تصعق عندها الأحلام

خاتمة:

يمثل الالتزام ظاهرة في الشعريات الحديثة والمعاصرة، يحاول فيها الشاعر أن يتخلص من الحديث عن نفسه، منخرطا في الجماعة وفي أحاديث الجماعة، فيعبر

عن آلام الشعوب ويتفاعل معها، ومن ثم يحاول الشاعر بكتاباته إعادة الوظيفة الاجتماعية للشعر وأن يجعل منه مرآة مجتمعه.